الجزائر وحركة التحرير الفلسطيني "فتح" من خلال جريدة الشعب
الأستاذ: شبوب محمد/جامعة الشلف

01/ لمحة تاريخية:

اختلفت الردود وتعددت الآراء فلسطينيا وعربيا على انطلاق العمل المسلح الذي باشرته حركة فتح، فبعض الأنظمة العربية رأى في فتح شعبة من شعب الإخوان، واعتبرها قوم آخرون أنها ليست من الشيوعية ببعيد، ومنهم من رأى أن أعمالهم لها عواقب وخيمة ستجر المنطقة إلى أتون حرب ليست مستعدة لها الآن، وفي مقابل ذلك استبشر بها آخرون على أنها نواة لعمل تحرري فلسطيني، ومن هؤلاء الجزائر (1).

كانت الثورة الجزائرية الملهم الأول لفكرة تأسيس فتح، فقد مثلت جبهة التحرير الوطني نموذجا يحتذي به بالنسبة لقادة فتح المؤسسين ، و قد تفاعل قادة فتح مع الثورة الجزائرية (2)، حيث تعرف جمال عبد الرؤوف (القدوة الحسيني)، الشقيق الأكبر لياسر عرفات أثناء ترأسه لمكتب المغرب العربي في مقر الهيئة العربية العليا في القاهرة ، إلى معظم قادة جبهة التحرير الوطني الجزائرية، وقد كان القدوة أيضا عضوا في جمعية الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية والتي قام من خلالها بتوثيق الصلة بمحمد خيظر وقد دعت الجزائر-التي كانت تساند فلسطين حتى وهي تخوض حربها المسلحة ضد فرنسا-(3)،عند استقلالها فتح لحضور احتفالات استقلال الجزائر، والتي حصل ياسر عرفات خلالها على موافقة بن بلة الذي يعتبر أول حاكم عربي يستقبلهم (4)،على فتح أول مكتب للحركة في العاصمة الجزائرية، والذي تولى مسؤولية إدارته بعد افتتاحه رسميا في 23 سبتمبر 1963 " خليل الوزير"(5).

طور خليل الوزير علاقة فتح بالحكومة الجزائرية بحيث تم تعيين 1000 مدرس فلسطيني في نظام التعليم الجزائري،كما حصل على 150منحة دراسية للفلسطينيين في الجامعات الجزائرية، فشكلوا مع المدرسين مصدرا لإمداد فتح بأعضاء جدد، و قام الجيش الجزائري في صيف سنة 1964 بتدريب ما بين 100و200 فلسطيني على حرب العصابات، وقد أتاح مكتب الجزائر لفتح ربط علاقات وصلات لا تقدر بثمن مع حركات التحرر الأخرى، فقد قابل خليل الوزير وزيرة خارجية الجبهة الوطنية لتحرير جنوب الفيتنام السيدة بنه ، أثناء زيارتها للجزائر ، كما قابل ارنستوتشي غيفارا الذي تعهد بتقديم دعم كوبي(6).

كما زار الوزير وعرفات بوساطة الجزائر الصين في 15 مارس 1964 لإجراء محادثات مع "لجنة التضامن الأفرو- آسيوي". والتي توجت بافتتاح مكتب فلسطين في بكين، وأثناء هذه الزيارة حضيا باستقبال "ماوتسي تونغ" رئيس الحزب الشيوعي وقررت فلسطين إثر هذه الزيارة مقاطعة إسرائيل، وزار الوزير في طريق عودته فيتنام الشمالية، وقد عاد الوزير بعد ثلاثة أشهر إلى الصين لاستلام هبة بقيمة 7000 جنيه إسترليني(7)،كما قدمت الجزائر للحركة شحنات من الأسلحة عبر القواعد الجوية السورية(8).

02/ فتح و الكفاح المسلح(9)

استلهمت حركة فتح العمل الفدائي من جبهة التحرير الجزائرية، وهذا ما أعلنه قادة فتح أنفسهم أكثر من مرة، أن انتصار الثورة الجزائرية، كان إلهاما حقيقيا للشعب الفلسطيني في قيام ثورته المباركة.

ولم يخيب قادة الجزائر المستقلة قادة الثورة الفلسطينية -المقتبسون من هدي ثورتهم -فقد أيد الجزائريون قيادة وشعبا هذه الحركة الفدائية، وهذا ما يقر به المتصفح لجريدة الشعب في تلك الفترة.

أول ما نُشر على صفحات الجريدة عن العاصفة كان ـ الجناح العسكري لفتح ـ بعد انطلاقها بـ15 يوم ورغم بساطة أول عملية لهذه القوات فان الجريدة أوردتها في سياق العمل الكبير الذي أربك قادة إسرائيل فقالت:«بطبيعة الحال فقد فوجئت سلطات تل أبيب بهذه العملية، و قد كشف قائد القوات الإسرائيلية الجنرال "دافيد الازار" عن وجود منظمة فدائية عربية داخل إسرائيل، و اشتباك أفرادها مع القوات الإسرائيلية أثناء تسللهم إلى داخل الأراضي العربية المحتلة(10). ثم توالت الجريدة في نشر الأخبار والبيانات والنداءات عن هذه الحركة وفي تعريف الجريدة لهذه الحركة قالت:« أن الاسم الحقيقي لهذه الحركة العاصفة يرمز له بحروف "فتح" اختصارا لعبارة "حركة تحرير فلسطين" وعرفت باسم العاصفة لما تقوم به من عمليات خاطفة داخل الأراضي المحتلة»(11)، وأضافت:«إنها حركة أعضاؤها من الفدائيين الفلسطينيين تعمل داخل الأرض المحتلة وتقوم بأعمال تدمير مواقع العدو... ولا يمر يوم إلا وتقوم بعملية تدمير جديدة في المستعمرات الواقعة تحت سيطرة الجيش الإسرائيلي»(12).

وبدخول ثورة العاصفة في فلسطين عامها الثاني كتب جريدة الشعب تحت عنوان " قوات العاصفة تحقق انتصارات هامة ضد العدو " حيث قالت:« وفي هذا اليوم تحتفل الجماهير الفلسطينية ومعها الجماهير العربية بالذكرى الأولى للثورة التي فجرتها طلائع قوات العاصفة في الدقائق الأولى من الفاتح جانفي 1965، ولهذه الذكرى معنى خاصا لدى كل من يهمه أمر القضية الفلسطينية وخصوصا الشعب الجزائري الذي آمن أن الثورة المسلحة هي الطريق الوحيد لتحقيق الاستقلال».(13)

وبعد عام من العمل الفدائي، وبعد أن فرضت فتح نفسها على الساحة الفلسطينية من خلال الكفاح المسلح، رأت الجزائر في ذلك إعادة للقضية الفلسطينية إلى وضعها الصحيح؛ على اعتبارها قضية احتلال يجب تصفيته، وهذا ما أكدته الجريدة بقولها:«وخلال عام كامل من الثورة المسلحة المعتمدة على السرية المطلقة و العمل الفدائي، أثبتت العاصفة القضية الفلسطينية إلى وضعها الأساسي السليم كقضية وطنية تحريرية متكاملة، وبهذه الإمكانات حطمت العاصفة أسطورة قوة العدو وحصانته، ومناعته، وأثبتت إلى كل من يعوزه الإثبات أن العمل الفدائي الجدي يمكن أن يصيب في كل ليلة من العدو مقتلا»(14).

وقد وجدت الجريدة في العمل الفدائي لحركة فتح والأحداث التي صاحبت ذلك، مجالا واسعا للتعبير عن موقفها، ولذلك دعت الجريدة دون موارية لدعم قوات

العاصفة في وقت كانت فيه الحركة غير مرغوب فيها من كثير من الأنظمة(15)، فقالت:« فبعد عام كامل ، وبعد أن أثبتت الثورة جديتها وفعاليتها أصبحت تحتاج أكثر من التأييد العاطفي، وتصفيق الإعجاب لقد أصبحت الثورة بحاجة إلى المشاركة الجديدة من جميع فئات الثورة، لتبقى مشتعلة حتى النصر»(16).

03/ فتح والحرب الإعلامية

المتتبع لبيانات ونداءات قوات العاصفة من خلال جريدة الشعب يجد أنها نهجت أسلوب الحرب الإعلامية، والدعاية النفسية، و التغني بالانتصارات والبطولات، فنجد أن أرقام القتلى والجرحى في جانب العدو الصهيوني كان مبالغا فيه،(17)فضلا عن تضخيم الخسائر المادية، فنجد في أحد أعدادها عنوانا عريضا " مقتل 16 إسرائيليا في معركة مع الفدائيين الفلسطينيين " جاء فيه:« أن العدو قد تكبد خسائر في الأرواح بلغت 16 قتيلا و 19 جريحا، وذلك في معركة نشبت بين الطرفين في 18 جانفي الحالي، و قد أصيب اثنان من المجاهدين، و قد تمكنت فرق أخرى من القوات الثورية من تدمير منشآت صناعية وبترولية و نسف الجسور »(18)، وفي عدد آخر كتبت ما يلي:« تواصل قوات العاصفة كفاحها البطولي، فقد أغلقت قوة من المجموعة الرابعة التابعة لقوات العاصفة طريق بئر السبع، ووضعت فيه لغما تسبب في تدمير سيارة عسكرية تابعة للعدو، فقتل أكثر من 10 جنود وفي ليلة 26 نسفت قوة من المجموعة الثامنة خزان المياه لرئيسي لمنطقة عراق المنشية وقتل 14جنديا يحرسونه»(19)مما دفع إسرائيل لمواجهة عمليات الفدائيين« إلى شراء أجهزة استكشاف إلكترونية من النوع الذي يستخدمه الأمريكيون في الفيتنام»(20).

كما ركزت بيانات قوات العاصفة على تدمير قنوات ومضخات المياه وذلك ربما لكون أول عملية لها جاءت ردا على تحويل مجرى نهر الأردن و ربما لرمزية الماء و ارتباطه بالأرض، فلا تكاد تجد بيانا أو بلاغا نشر في الجريدة إلا وتجد تفجير خزان أو إتلاف أنابيب فنجد «أن قوات المجموعة العاشرة قامت ليلة 25 جوان 1965 بنسف مركز توزيع المياه بمشروع المياه القطري في الأرض المحتلة فدمرته تماما وقد عرفت المنطقة بالمياه »(21). وفي عدد لاحق قالت: « إن القوات العاملة في الأرض المحتلة قامت في نهاية شهر سبتمبر بنسف محطتين لضخ المياه لقرية كفر قاسم»(22).

ومما يجدر الإشارة إليه هو تعدد أماكن إذاعة البيانات، و هذا ربما بغية إيصال صوت هذه الحركة الفتية إلى أكبر شريحة ممكنة من الوطن العربي ، والتعريف بها ،فقد نشرت الشعب البيان الذي أصدره مكتب القيادة العامة لقوات العاصفة في الجزائر والذي جاء فيه: «بينما كانت قوة من مناضلينا متجهة إلى هدف لها داخل الأرض المحتلة، اضطرت إلى الاشتباك مع دورية للعدو مؤلفة من خمسة آلات مصفحة ... و استخدمت في المعركة المدافع الرشاشة و القنابل اليدوية»(23).

كما تبنت الحركة في بياناتها الخطاب الجماهيري المباشر، فنجدها تخاطب الجماهير العربية «القيادة العامة لقوات العاصفة إذ تعلن عن فقد بطليها الشهيدين

لشعبنا العربي الفلسطيني ، وللأمة العربية لتعاهد الشهداء الأبرار أن تظل سائرة بقوة و صلابة في درب الكفاح المسلح، مؤمنة بأن التضحيات مهما عظمت لن تلين من قناتنا، بل ستزيدنا إصرارا على الكفاح و النضال في طريق التحرير حتى النصر »(24).

والمتتبع لبيانات وبلاغات قوات العاصفة يجد من خلالها أن قوات العاصفة تمثل جيش مقسم إلى فرق ووحدات، أكثر منه مجموعة من الفدائيين المدربين على عمليات الكر والفر، فنجد القيادة العامة لقوات العاصفة تصدر بيانا عن العمليات الحربية التي قامت بها جاء فيه:« أن قوة من الفرقة 32 قامت بنصب كمين، قضت فيه على أحد عشر جندي إسرائيلي، كما قامت قوة من الفرقة 56 بنصب كمين، فقضت على جنود ناقلة وغنمت أسلحتها، كما قامت قوة من الفرقة 11 بهجوم على مستعمرة بيعاتلي و نسفت مركز المستعمرة»(25).

وقد شنت الجزائر هجوما إعلاميا على الأردن الذي يعاني فيه الفدائيون حسب الجريدة معاناة كبيرة من خلال تقييد حركتهم وملاحقتهم، و إبعاد البعض منهم[26] ، أما لبنان فلم يسلم هو كذلك من الهجوم الإعلامي عليه ففي بيان للعاصفة حول استشهاد المناضل "جلال كعوش"(27)، الذي اغتالته المخابرات اللبنانية في 1966/01/10 جاء فيه :« استشهد بأيدي عربية الوجه و اللسان ، أجنبية القلب و الولاء ، و أريق دمه في ثكنة الحلو ببيروت، إثر محاولة انتزاع اعترافات منه عن رفاقه في السلاح الذي يقومون بواجبهم المقدس»(28).

الهوامش:

1. بالإضافة إلى سورية والتي أقام مؤسسو فتح وكوادرها الرئيسيين فيها صلات مبكرة بكبار المسؤولين وبالشخصيات السياسية (1963-1962)، على غرار ما فعل القدومي و غيره من البعثيين الذين انظموا إلى الحركة بعد الانفصال السوري سنة 1961، وبعد انقلاب 9آذار(مارس)1963، لم يكن هناك ما يشجع على إقامة تحالف بين النظام الجديد و فتح فالبعثيون كانوا يعرفون الخلفية الإخوانية لأفراد من قادة فتح، كما ظنوا في وجود ارتباطات لهم بالمملكة السعودية ،لكن تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية في أيار(مايو)1964 قلب الأوضاع، فالمنظمة في اعتقاد سورية ليست سوى مخلب قط في يدي عبد الناصر. وخلص حزب البعث الحاكم في سوريا في هذه الفترة ،أن أفضل طريقة لإحراج عبد الناصر هي كشف عدم رغبته في مواجهة إسرائيل ،وقد صرح مسؤول بعثي كبير بأنه سيمرغ أنف عبد الناصر في طين فلسطين فهناك ستكون نهايته ، وقد وفرت فتح الوسيلة الملائمة لهذا الغرض.

وقد ظلت سورية أهم ساحة بالنسبة لفتح، وجعل عرفات من دمشق قاعدته الرئيسية، وقد قدم حافظ الأسد قائد سلاح الجو خدمة جليلة للحركة إذ سمح بانتقال شحنات السلاح الجزائرية إلى الحركة عبر القواعد الجوية السورية.

أنظر: يزيد صايغ، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت،.2002، ص ص:174-176 .

2. جريدة الشروق اليومي، «حوار مع القائد الفتحاوي مروان البرغوثي» ، ،ع 3112 ، 2010/11/11 ، ص.12.

3. جريدة الشعب، ع 331، 1963/12/31، ص.3.

4. محمد خليفة، حديث معرفي شامل مع أحمد بن بلة ، دار الترنانيف للنشر،(د م ن)، 1985، ص.269.

5. يزيد صايغ، الكفاح المسلح و البحث عن الدولة ، مرجع سابق، ص.172 .

6. محمد خليفة، مرج سابق، ص.270 .

7. يزيد صايغ، مرجع سابق، ص.173.
8. المرجع نفسه، ص.176.
9. حسب أبو عمار كان من المفروض أن تنطلق أول رصاصة سنة 1964، ولكن كان في قيادة فتح رأيان مختلفان: الأول يستعجل الانطلاقة، والثاني : يدعو إلى التريث والتروي وفي نفس السنة اجتمع المجلس العسكري سرا، في القدس مرة وفي عمان مرتين وصوت أعضاء المجلس على عدم الموافقة على الانطلاقة عام.1964 ويضيف أبو عمار « كان أعضاء المجلس العسكري الذين يؤيدون اقتراح تأجيل الانطلاقة يقولون إنا في حاجة إلى 500 قطعة سلاح لكي نبدأ و 50 إلى 60 ألف دينار وكنت أنا وأبو ماهر"عضو القيادة المركزية" من أنصار الاستعجال. وحينما اختلفنا رفعنا الأمر إلى اللجنة المركزية التي أخذت بوجهة نظر الآخرين، و هنا أذكر هواري بومدين، قابلته في وزارة الدفاع عام 1964 وقال لي :" اذهب وأطلق طلقة واحدة ثم عد إلي". وربما شابه هذا الانقسام في وجهات النظر بين المتريثين والمستعجلين ما جرى للجنة الـ22 في التحضير لاندلاع ثورة نوفمبر في الجزائر، وإن كان الجزائريون قد حسموا أمرهم، بإعلان الثورة، وعدم التأجيل، فإن قادة فتح قد توصلوا إلى حل وسط يخرجهم من هذا الاختلاف المحتدم بين وجهتي نظر الطرفين، هذا الحل هو أن تكون الانطلاقة باسم آخر هو "العاصفة" فإذا وفقت تبنتها الحركة كجناح عسكري، وإذا فشلت تستمر فتح في النضال ويقال أنهم "شوية شباب متحمس" على حسب تعبير أبو عمار.

وقد تم الاتفاق على أن تكون الانطلاقة في 1965/01/01، ولكن بعض المناضلين أقسموا أن يفجروا الثورة عام 1964، لذلك كانت أول عملية في دير نحاس على الساعة 11 مساء يوم 1964/12/31، وقد استشهد قائد هذه العملية تحت التعذيب وهو الشهيد رمضان البنا، وهو من الذين أقسموا على أن تبدأ الانطلاقة عام1964أنظر:

- محمود درويش، أحمد عبد الرحمن، «حوار مع أبو عمار»، شؤون فلسطينية، ع86، 1979، ص.17.
- صلاح خلف، فلسطيني بلا هوية، دار الجيل، عمان، ط2، 1996، ص ص:18-76.

10. الشعب، عدد 647، 1965/01/16، ص.05.
11. الشعب، عدد 727، 1965/04/14 ، ص.05.
12. الشعب،ع 1370، 1967/05/18، ص.03.
13. الشعب، ع 945، 1966/01/01، ص.07.
14. الشعب، ع 945، 1966/01/01، ص.07.
15. اعتبر الرئيس جمال عبد الناصر، قرار فتح ببدء الكفاح المسلح ضد إسرائيل في هذا الوقت بالذات غير ذي جدوى، ورأى ضرورة تأجيل هذا الموضوع بسبب انشغال القوات المصرية في اليمن، وإن الظرف قد لا يكون مناسبا لمناوشات على الجبهة السورية تتسع و تفرض على مصر أعباء لا تحتملها الظروف حينئذ، لكن فتح باشرت بالقيام ببعض العمليات انطلاقا من الجبهة السورية، رأت فيها القاهرة علامة تصرف غير مسئول في وضع غير ملائم، وقد أصدر القائد العام للقيادة العربية الموحد، الفريق أول علي علي عامر في مارس 1965، أصدر تعليمات إلى نظرائه العرب، بضرورة إلقاء القبض على أعضاء فتح بحجة انتمائهم إلى جماعة الإخوان المسلمين المحظورة.

و قد حاول قادة فتح الالتقاء بعبد الناصر، لكن محاولاتهم كانت دون جدوى وإن نجحوا في الالتقاء"بشمس بدران" وزير الحربية المصري، غير أن اللقاء لم يسفر عنه شيء. انظر:

يزيد صايغ : رفض الهزيمة: بدايات العمل المسلح في الضفة والقطاع – 1967، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1992، ص.56.

الكفاح المسلح، مرجع سابق، ص.185.

- عصام الدين فرج، منظمة التحرير الفلسطينية (1964-1993)، مركز المحروسة، القاهرة، 1998، ص.142.
- محمد حسنين هيكل، المفاوضات السرية بين العرب و إسرائيل : سلام الأوهام (أوسلو ما قبلها و ما بعدها) ، دار الشروق، القاهرة، ط 8، 2004، ص. 18.

16. الشعب، ع 945 ، 1966/01/01، ص.07 .

17. لكن في حقيقة الأمر فقد بلغ عدد العمليات العسكرية التي شنتها العاصفة إلى غاية حرب حزيران خلال سنتين ونصف من انطلاقها، بلغت 200عملية فقط، لم تكن أكثر من عمليات إزعاج بسيطة إذ لم توقع في صفوف الإسرائيليين أكثر من 11 إصابة، لكنها في المقابل ساهمت في إثارة التوتر العام و الرعب و عدم الشعور بالأمن. أنظر:
- محسن محمد صالح ، فلسطين: دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، مركز الاعلام العربي، القاهرة، 2003،ص 390.
- يزيد صايغ، رفض الهزيمة، مرجع سابق، ص.8.
18. الشعب، ع 655، 1965/01/26، ص.1 .
19. الشعب، ع 815، 1965/08/02، ص.1.
20. الشعب، ع 1131، 1966/12/03، ص.1.
21. الشعب، ع 854، 1965/09/16، ص.05.
22. الشعب، ع 876، 1965/10/13، ص.05.
23. الشعب، ع 1170، 1966/09/23، ص.05.
24. الشعب، ع 1170، 1966/09/23، ص.05.
25. الشعب، ع 903، 13 /1965/11، ص ص:01-05.
26. الشعب، ع 1229، 1966/12/01، ص.01.
27. **جلال كعوش (1924 – 1966) :**أول شهيد فلسطيني على الأرض اللبنانية ، ولد في قضاء صفد عام 1924 تلقى تعليمه في قريته ، وتخرج من مدرسة صفد الثانوية عام 1944، وفي عام 1948 انخرط في صفوف المجاهدين ، وكان قائدا لفرق شباب القرويين في الجليل الشمالي من فلسطين، ثم التجأ مع عائلته إلى لبنان وعام 1956عاد لمقاتلة الغاصبين أثناء العدوان الثلاثي فقام بعده عمليات فدائية جريئة، وفي عام 1957 قام بنسف السفارة الفرنسية بيروت ردا على الجرائم التي ارتكبها الجنود الفرنسيون بحق الشعب الجزائري فحكمت عليه محكمة لبنانية بـ 15 سنة، ولكنه استطاع الهروب من سجن بعلبك سنة 1958 لينظم إلى الثوار في منطقة صيدا، ليصبح بعد مدة القائد العسكري لهذه المنطقة .
في بداية الستينات انضم إلى حركة فتح فاعتقلته عناصر المكتب الثاني اللبناني بتاريخ 1965/12/28، وحاولت هذه العناصر أن تنتزع منه المعلومات، عن رفاقه الذين يقومون بواجبهم المقدس فتم قتله، شيعت جنازته في 1966/01/10. وكانت جنازته حافلة مهيبة ودفن في مقبرة صيدا. أنظر: محمد عمر حمادة، موسوعة أعلام فلسطين، ج 2 ، دار الوثائق، طبعة خاصة بالقدس عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، ص ص: 72-73.
28. الشعب، ع 961، 1966/11/20، ص.54.